مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران02/ المجلد 12 ع 02
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

التواصل الثقافي عند أسرتي العبد الوادي وأبي الفتوح بحواضر المغرب الأقصى خلال القرنين 11هـ/17م، و12هـ/18م

The cultural communication among the families of al-Abd al-Wadi and Abu al-Futuh in the cities of Morocco during the 11AH/17AD and 12AH/18 AD centuries.

محمد بومدين * Boumedine Muhammad boumedinem999@gmail.com	تاريخ المغرب العربي الحديث	جامعة أبي بكر بلقايد. تلمسان/ الجزائر.

DOI : 10.46315/1714-012-002-032.

الإرسال: 2023/09/12 **القبول:** 2023/01/10 **النشر:** 2023/06/16

ملخص:

تطمح إشكاليات هذا العرض التاريخي لما يُمكن أن تجنيه بعض التساؤلات التي جاءت لتسلط الأضواء على تلك الخطى الثقافية التي وَسَمَت حاضرة تلمسان العلمية من إسهامات أسرتي **"العبد الوادي"** و**"أبي الفتوح"** في ميادين العلوم العقلية والنقلية بالمراكز العلمية المغربية التي أثرت كثيرًا في مُثقفي تلمسان، عندما هُيئت لهم تلك المراتع العلمية بشكل لافت للانتباه خصوصًا خلال القرنين **11هـ/17م**، و**12هـ/18م**، من قِبل سلاطين المغرب الأقصى من السعديين والعلويين طيلة ثلاثة قرون ونصف من الزمن. ومن ثمة بدأت الصورة الثقافية لهاتين الأسرين تظهر بشكل مُميز في خِضم ذلك التواصل الثقافي خلال الفترة الحديثة.

كلمات مفتاحية: تلمسان؛ العلماء؛ أسرة العبد الوادي؛ أسرة أبي الفتوح؛ القرن 11هـ/17م، 12هـ/18م.

Abstract:

The problems of this historical presentation aspire to what can be gained by some of the questions that came to shed light on those cultural steps that marked the scientific metropolis of Tlemcen from the contributions of the **"Abd al-Wadi"** and **"Abi al-Fotouh"** families in the fields of mental and transport sciences in Moroccan scientific centers that greatly influenced the intellectuals of Tlemcen, when these scientific pastures were prepared for them in a remarkable way, especially during the **11AH/ 17AD** and **12AH/ 18AD** centuries, by the Saïdian and Alawi sultans of Far Morocco for three and a half centuries. Hence, the cultural image of these two families began to appear distinctly in the midst of that cultural communication during the modern period.

Keywords: Tlemcen; Scholars; Al-Abed Al-Wadi family; Abi Al-Fotouh family; 11AH/17AD Century, 12AH/18AD.

* - المؤلف المُرسل: boumedinem999@gmail.com

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

1- مقدمة:

لعل ما أصاب مدينة تلمسان مع بدايات الفترة الحديثة هو من قبيل الهزة الفكرية والثقافية التي جلبت معها ذلك الانتشار المستفيض للعلماء والأسر العلمية في حواضر البلدان الإسلامية، والتي عملت تلك الأسر العلمية منذ الوهلة الأولى لبسط الأتراك العثمانيين سلطتهم على المدينة المذكورة سنة **1555م**، أقول؛ عملت على محاولة ازاحة الواقع الثقافي المرير وقتذاك وتعويضه بالواقع الذي باتت معالمه الفكرية والعلمية تشهد التطور وتعرف الاستقطاب بحواضر المغرب الأقصى، خاصة مع القرنيين **11هـ/17م**، و**12هـ/18م**، أين كان فيه رجال الفكر والثقافة عند السلاطين السعديين والعلويين في أعلى درجات التقديس العلمي، لما سطره هؤلاء السلاطين من سياسات ثقافية وسياسية تجعل من العلماء ركيزة دِينية ودُنيوية يستند عليها المجتمع المغربي، وهو امتياز لم يجده علماء تلمسان في مدينتهم التي أصبحت تعيش تراجعًا علميًا نسبيًا زمن العثمانيين، ما حتم على علمائها ترك هذه الحاضرة واختيار المدن العلمية بالمغرب الأقصى بشكل اضطراري فقدت على اثره تلمسان الكثير من الأسر العلمية مثل أسرة **"ابن الوقاد"** و**"أسرة العبادي"** و**"أسرة ابن ملوكة"** و**"أسرة التراري"** و**"أسرة ابن الزاير"** و**"أسرة بودشيش"** وغيرها من الأسر العلمية التي كان لها أدوارًا رائدة في الحياة الفكرية والعلمية المغربية إبان الفترة المدروسة .

لقد بلغت شهرة البيوتات العلمية التلمسانية شأنًا كبيرًا بالمغرب الأقصى وفي مختلف مدنه الثقافية مثل مدينة فاس التي اشتهر فيها بيت **"ابن جلال الوعزاني"** وحاضرة تِيطَاوِين التي احتضنت **"أسرة المرازقة"** و**"أسرة العبد الوادي"** التي سنركز عليها في سطور هذا البحث بتقصي أنشطة علمائها والوقوف على أصولها الملكية، ناهيك عن حاضرة السوس التي لمع فيها علماء **"أسرة أبي الفتوح"** التي جعلنا لها جانبًا مهمًا من البحث في تاريخها الثقافي والتحري في جذورها التاريخية، انطلاقًا من مدينة تلمسان التي أنجبت أسرًا علمية راقية تصدت للتدريس والتأليف ونشر العلوم بصفة جعلت منها تتربع على الكراسي العلمية بالمراكز الثقافية المغربية حتى غدت أسماءهم وألقابهم لا تخلو منها كتب التراجم والأنساب .. وغيرها من المصادر التاريخية التي حفلت أوراقها بأخبار النخبة التلمسانية حينذاك.

ومن الأهمية بمكان أن نشير أنه قد بات من المفيد جدًا اليوم بيان الأثر العلمي والفكري لمثل هذه الأسر العلمية التلمسانية، والإشارة إلى أن مجمل تفاعلاتها الفكرية بحاضرتي تِيطَاوِين والسوس المغربيتان، حين قد تجسدت ذلك ليس فقط مع الأسرتين اللتان

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

سنستعرض تفاصيل حياتها في هذا البحث، وإنما مع الكثير من الأسر العلمية التي قد غمرها الزمان وأضحت في طي النسيان .

إن القراءة الأولية لهذا الموضوع تُحيلنا إلى التموقع في وضعية طلبية تحمل الكثير من الأسئلة على شاكلة: **إلى أي مدى كان لأسرتي "العبد الوادي" و"أبي الفتوح" الدور الكبير في ترسيخ التلاحم الفكري وأواصر التواصل الثقافي بين تلمسان وحواضر المغرب الأقصى ؟ وما هي أهم الإسهامات الثقافية التي ساهمت بها كلا الأسرتين في الحواضر المذكورة؟ وكيف تميزت علاقاتهم الاجتماعية والدينية في المجتمع المغربي؟ وهل كان لهم دور في الرفع من مستوى التعليم والتدريس بتلك الحواضر؟ وهل انتفعت منهم الحضارة المغربية؟ بل والإنسانية جمعاء من ارثهم العلمي من المؤلفات والمصنفات وشروحاتها...؟**

ولا يفوتنا أن ننوه أنه قد صار من الضروري ـ إذن ـ كشف النقاب عن هذه الأسر بمثل ما سنقدمه من نصوص تاريخية وشهادات لعلماء ومؤلفين عاصروا علماء **"أسرة العبد الوادي"** و**"أسرة أبي الفتوح"** بغية الوصول إلى الروابط الثقافية والوشائج العلمية التي ربطت بين علماء تلمسان ونظرائهم من علماء المغرب الأقصى في التحصيل العلمي والاستفادة العلمية والافادة بها، وكيف استثمر المغرب الأقصى النشاط العلمي لصَفوَة تلمسان من الأعلام. وهذا ما يبعث على التأكيد أن الوجود التلمساني في المؤسسات الفكرية بالمغرب الأقصى قد امتدت معالمه من مجرد اللجوء الاضطراري إلى المشاركة في رَسم الخطوط العريضة والخيوط الدقيقة لمجريات الحوادث العلمية والدينية التي كان فيها علماء تلمسان طرفًا فاعلاً وعنصرًا هامًا في هياكل المنشآت العلمية والدينية بالمغربي الأقصى.

وتماشيًا مع ما تم ذكره، تهدف هذه الورقة العلمية إلى الكشف عن الجانب الثقافي الذي انتهجته كل من **"أسرة العبد الوادي"** و**"أسرة أبي الفتوح"** مِمَّا يلتمسه الباحث من أنشطة علمية وفكرية تميزت بها كل أسرة، في مجالات التدريس والتأليف ومنح الإجازات العلمية وتحصيلها، وغيرها من الإسهامات الثقافية التي نعمل بواسطتها على جلاء بعض السمات الخاصة بالأدوار الفكرية للأسرة التلمسانية في مختلف المؤسسات التعليمية بحواضر المغرب الأقصى ومدنه الثقافية، خاصة منها حاضرتي تِيطَاوين المغربية موطن هجرة **"أسرة العبد الوادي"** وإقليم السوس مكان استقرار **"أسرة أبي الفتوح"** بالزاوية الناصرية حتى عدهم الكثير من المؤرخين من العلماء الناصريين.

كما نسعى من وراء هذا الطرح الثقافي الاجابة على ما أثير حول الخلفيات التي كانت دافعًا لهجرة هذه الأسر العلمية من مدينة تلمسان، مِمَّا ينبغي أن يظهر بوضوح مع هاتان الأسرتان

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

التي مزجت بين الدوافع السياسية والعسكرية والاجتماعية والثقافية. بل وكلما أمعنا النظر فيما خلفه هؤلاء العلماء من نتاج علمي وأدبي في مواطن هِجرتهم بالمغرب الأقصى، يتبادر إلى الذهن مدى القدرة العلمية التي كان عليها هؤلاء العلماء من خاصية التبريز العلمي وما صرفه الكثير منهم من جهود في سبيل خدمة العلم وطالبيه ولو في بلد غير بلادهم، على ما سنستكشف من المؤلفات الضخمة والمتنوعة في غير واحد من العلوم وفنونها النقلية والعقلية .

ونتيجة لذلك، انصبت فرضيات هذه الطروحات مِمَن عنى بهم البحث من علماء **"العبد الواديين"** وعلماء **"أسرة أبي الفتوح"**، على ما قد اعتادوا عليه في مَسيرتهم الثقافية مِمَّا قدموه لحضارة المغرب الأقصى من انتاج للمعرفة وفروعها العلمية، وما أضافوه للمكتبة المغربية من رصيد علمي بقي فيه لقب **"التلمساني"** يقتنص الريادة الثقافية في فهارس الخزانات العامة ودُور الأرشيف حتى في مكتبات العالم، والتي ستفيدنا لا محال في خوض غمار البحث عن كل ما يتعلق بالأنشطة العلمية والفكرية لهذان الأنموذجين من الأسر العلمية، وما يُمكن من جهة أخرى أن نقيس عليه ركائز هذا البحث منهجيًا ومعرفيًا، والمؤسسة على: العلماء، العلوم العقلية والنقلية، التأليف، التواصل الثقافي، لاستخلاص ما يخدم البحث من هذه المصطلحات بإسقاط تلك الأبعاد على كل من مدينة تلمسان التي تعد منبت هذا البحث من جهة، ومن جهة أخرى التركيز على سلسلة علماء الأسرتين المراد التقميش في خصائصها العلمية بحاضرتي تِيطَاوِين والسوس، ما يجعلنا أن نقتنع بأن نسبة كبيرة من المساهمة الثقافية المغربية في الحضارة الإنسانية قد كان فيها علماء تلمسان وأسرهم العلمية أداة أساسية على مستوى الاجتهاد الثقافي والإرتقاء بالتاريخ العلمي للمغرب الأقصى إلى مصاف البلدان العلمية حتى اليوم.

2- مفهوم الأسر العلمية:

إن التعريف اللغوي للأسرة ينحصر في معنى **"أسرهُ أسرًا"** أي **"قيده وأخذه أسيرًا"**، ويحمل معنى **"الأسر"** في اللغة على التماسك والقوة، وأسرة الرجل، عشيرته، لأنه يتقوى بهم(برسيقي، 1951، ص 15).

ويشير الباحث على **"عبد الواحد وافى"** في كتابه **"الأسرة والمجتمع"** أن نظام الأسرة في أي أمة كانت يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمعتقدات هذه الأمة وتقاليدها وتاريخها وعرفها الخلقي وما تسير عليه من نظم في شؤون السياسة والدين والثقافة والتربية وغيرها...(وافى، 1947، ص 5).

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

وقد اتسمت الأسرة قديماً في تلمسان بالقيام بكل الوظائف المرتبطة بالحياة، وركزت على تحقيق وظائفها بالشكل الذي يلائم العصر الذي تنتمي إليه، حيث اختلفت وتطورت وظائف الأسرة التلمسانية نتيجة تطور العصور التي أثرت في طبيعة تلك الوظائف، وكيفية ووسائل قيام الأسرة بها، ولكن لم يختلف الهدف من تلك الوظائف بالرغم من تعرضها للتطور، والذي يتمثل في تكوين الشخصية المتزنة والقادرة على التكيف مع متطلبات الحياة الاجتماعية(وافي، 1947، ص 6).

ومن بين تلك الوظائف خلال الفترة الحديثة، نجد الوظيفة الدينية والأخلاقية، التي تتطلب من الآباء تقديم الخبرات العلمية الكافية لأبنائهم عن دينهم وعن تعاليمه وعن كل ما يؤدي بهم إلى أن يكونوا أبناء صالحين يتحلون بالأخلاق الدينية عبر إدراجهم في المؤسسات التعليمية وضمان الحد الأدنى لهم من التعليم. لذلك فمن البديهي أن تحتضن تلمسان في العهد العثماني على وجه التحديد عدد ليس بالقليل من الأسر العلمية التي تكونت منذ بدايات ذلك العهد على غرار أسرة **"أبو السادات"** وأسرة **"المنجرة"** وأسرة **"اليبدري"**...، وغيرها من استقر بالمدينة المذكورة أو الذين ارتحلوا بشكل اضطراري إلى الحواضر العلمية بالبلاد الإسلامية سواء في المشرق كأسرة **"الحناوي"** و أسرة **"ابن منديل"** التي اتخذت من القاهرة والاسكندرية موطنًا للتجارة والإستفادة العلمية والإفادة بها، أم الذين اختاروا المراكز العلمية بحواضر المغرب الأقصى كأسرة **"الصميلي"** وأسرة **"ابن عزوز"** وأسرة **"أبي مدين"** وأسرة **"المري"** وأسرة **"العبد الوادي"** الآتية الذكر في تفاصيل سِيرة حياة علمائها ومَسيرتهم العلمية والدينية بحاضرة **"تِيطَاوِين"** المغربية.

3. أسرة العبد الوادي التلمساني (952هـ/1545م. حتى بداية القرن 12هـ/18م):

لعله من المفيد أن نشير بادئ ذي بدء للمرجعيات التاريخية الخاصة بهذه الأسرة العلمية بالنظر إلى ما تستدعيه طبيعة الموضوع، الّذي يُحتم علينا قبل التوغل في السياقات التاريخية الدافعة بعواملها للحركية والهجرة المُمَيِّزة للفترة الحديثة والصانعة للأنشطة العلمية لأعلام العلم ورِجالاته العلماء بحواضر المغرب الأقصى، أن نَتَمَوقَعَ إزَاء ذلك في وضعية طَلَبِيَّة تَبحَث في جذور هذه البِطَانَة وأصولها الحضارية، كعتبة منهجية تبرز دور الأصل كقِوام رئيسي وذا دلالة صادقة على خصائص الفترة المدروسة في جانبها الثقافي المتأثر بالمستجدات السياسية والعسكرية آنذاك.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

3ـ 1.الأصول والجذور:

ينتسب بيت العبد الوادي إلى العالم أبو الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي بن يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي، الذي يُعرف في بلاده بـ: **"ابن مهدي"** وبمدينة تِيطَاوِين المغربية ومختلف حواضر المغرب الأقصى بـ: **"الزياتي"** نسبة إلى قبيلة **"بني زيات"** الغمارية(المعلمة، (ج14)، 2008، ص 4758).

أما عن أصله الأول من بني عبد الواد؛ فهو فرع من فروع الطبّقة الثّانية من **"قبيلة زناتة"** أشهر القبائل الأمازيغية ببلاد المغرب الأوسط، وأصل تسميتهم عائد إلى جدّهم **"عبد الواد"**، وهم من ولد يادين بن محمد بن رزجيك بن اسين بن ورسيك بن زناتة، وكانوا عدّة بطون هي: **"بنو ياتكتن"**، **"بنو وللو"**، **"بنو تومرت"**، **"بنو ورسطف"** وغيرها...(ابن خلدون، (ج7)، 2000، ص 72)، ويضاف إليهم **"بنو القاسم"** الذين ينتسب إليهم **"بنو زيان"** الذين كان لهم الملك والسلطان في تلمسان وما إليها من لدن يغمراسن بن زيان مقيم الدولة في أوائل المائة السابعة، إلى أن تغلب الترك عليها وانتزعوها من أحمد بن عبد الله من أعقاب يغمراسن(الفاسي، (د.ت)، ص 234).

وأما عن أصله الثاني **"الزياتي"** فإن المصادر المغربية ترجعه إلى أسرة تطوانية من قبيلة بني زيات الغمارية، وقد أنجبت عدة علماء وفقهاء وأدباء منذ ارتحالهم من تلمسان إلى تِيطَاوِين سنة **952هـ/1544م** حتى أواخر القرن الـ **12هـ/18م**(المعلمة، (ج14)، 2008، ص 4758).

2.3. إرتحالهم القسري إلى المغرب الأقصى:

أجمعت أقلام المصادر المعاصرة لأعلام هذا البيت العلمي، أن أجدادهم من ملوك تلمسان الزيانيين قد هاجروا من مدينتهم إلى حواضر المغرب الأقصى فور دخول حسن بن خير الدين إلى هذه المدينة سنة **952هـ/1544م**، وقام بإخراج ملوكها منها الذين ارتحلوا قسرا إلى **"دبدو"**، وشأن ذلك بالنص عند **"أبو حامد الفاسي"**، بقوله: «**(...) قال الشيخ قاضي الجماعة أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي العباس أحمد الونشريسي رحمه الله؛ ومن خطه نقلت: قدم حسن بن خير الدين التركي، واستولى على تلمسان وأواسط شعبان سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة، وأخرج منها الأمير أحمد بن الأمير عبد الله، ووزيره منصورا بن أبي غانم، ولحقا بدبدو مع من أنضاف إليهما من أمراء تلمسان وكبرائها(...)**»(الفاسي، (د.ت)، ص 234).

وأضاف المؤلف المذكور يسرد قصة شخوصهم على **"دبدو"** في **"مرآة المحاسن"** أن أمير هذه الإمارة الذي كانت أصوله من بني مرين قد غدر بهؤلاء ولم يطل الترحيب بهم، بل وقام

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

بسببهم وسرقة أموالهم، منذ سنة **1053هـ/1645م**، على حد قوله: "**(...) فغدرهم عمرو بن يحيى ـ يعني المريني ـ صاحب دبدو وأخذ أموالهم، وأعتاقهم، وسرح منصورا في محرم سنة ثلاث وخمسين هـ، (...)، فإن الأمر استقر بها للترك إلى هذا التاريخ، وهو: سنة ست واربعين وألف(...)**"(الفاسي، (د.ت)، ص 234).

وعن مستقرهم بمدينة "**تيجيساس**" الواقعة بقبائل غمارة بحاضرة "**تيطاوين**" المغربية يردف صاحب "**مرآة المحاسن**" الكلام، قائلاً: "**(...) ونزل سلف الشيخ أبي الطيب بمدينة تيجيساس، وهي في شرق تطاون، على مسيرة يوم منها، في موضع كثير الحجارة والصخر، في سفح جبل في غربها، تحتها في شمالها جرف كثير الصخر عظيمه، على مكسر موج البحر. لها نهر نباع، يجلب إليه منه جدول؛ ولها تبسيط تركبه الجداول من كل جهة؛ فتسقي الزرع والكتان والثمار، فأهلها في أمن من القحط، وهي قديمة العمران (...)**"(الفاسي، (د.ت)، ص 234). وهو ما يدل على أن اختيار هذه الأرض الزراعية لم يكن وليد الصدفة أم اختيارًا اعتباطيًا من قبل هذه الأسرة الملكية التي امتهن أفرادها العلماء فيما بعد الفلاحة وتربية المواشي بهذا الإقليم الزراعي الفسيح.

أما عن استقرار سلف الشيخ أبي الطيب التلمساني (**ت 1023هـ/1614م**)، بقبيلة "**بني زيات**" والتصاق لقب "**الزياتي**" بهم التصاق نسبٍ وعلمٍ، يقول المؤلف المذكور: "**(...) و انتقل سلف الشيخ أبي الطيب إلى القبيلة الحافة بها من جهاتها الثلاث؛ وهي: قبيلة بني زيات (...) من قبائل بني يال (...) بطن من بطون غمارة، (...) فصاروا في عدد بني زيات. (...) وكانوا أهل حسب ومروءة وطلب علم. قد عرفوا بذلك، واستمروا عليه**"(الفاسي، (د.ت)، ص 235).

3.3. النشاط العلمي لبيت العبد الوادي بين حاضرتي تِيطَاوِين وفاس:

لقد بلغت درجة حب العلم والتعلم ومؤلفات الكتب والتعلق بها أن أدمن عليها العامة من سكان تلمسان وحتى ملوكهم من بني عبد الواد، حيث أدلى "**الشهاب المقري**" في "**نفح الطيب**" بشهادة مفادها أنه وجد كتابًا خلال النصف الأول من القرن **11هـ/17م**، ألفه جده عند ملوك تلمسان المهاجرين إلى فاس، وهو يقصد بهم علماء "**أسرة العبد الوادي**"، في قوله: "**قلت: وقد رأيت هذا الكتاب بحضرة فاس عند بعض أولاد ملوك تلمسان وهو فوق ما يوصف (...)**"(المقري، (ج5)، 1998، ص 285). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أحفاد بني عبد الواد المنتشرين بحاضرة فاس قد بقي اهتمامهم بالعلم والكتب متواصلاً رغم الضروف الصعبة التي كانوا يعيشونها في موطن هجرتهم، ومن بينهم هؤلاء العلماء "**العبد الواديين**"

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

الذي نحن بصدد التعريف بهم وبمساهماتهم بتلك الحواضر العلمية. والذين كان أولهم في مقام العطاء الفكري والإهتبال العلمي، العالم:

ـ أبو العباس أحمد بن يوسف بن مهدي بن يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي التلمساني (ت 1003هـ/1595م):

الذي وُلد بمدينة **"تيجيساس"** من **"قبيلة غمارة"** البربرية بتِطَاوِين عام **954هـ/ 1546م**، لما نزل سلفه المعروفين هناك بـ: **"بنو مهدي"** بمدشر بني جلا (جلدت)، وقد تتلمذ هذا العالم بحاضرة فاس على يد جماعة من الشيوخ كأبي العباس القدومي، وأحمد المنجور **(ت 995هـ/ 1587م)**، ثم عاد إلى بلده فصحب أبا العباس أحمد الفيلالي **(كان حيا سنة 996هـ/1588م)**، دفين قبيلة **"بني بوزرة"** بغمارة، وأخذ عنه التصوف، ولما توفي هذا الأخير عاد إلى فاس ـ ثانية ـ فصحب أبا المحاسن يوسف الفاسي، فتأثر بسلوكه، ومال إلى الزهد والخلوة، على ما سجله صاحب **"مرآة المحاسن"**، بالقول: «**(...) وكان قد صحب الشيخ أبا العباس الفيلالي، ثم بعد موته: صحب أبا المحاسن، وفتح له على يده فتحا استنارت به عوالمه، و اتحدت به وجهته، و أقبل على الله بكليته، وأعرض عما سواه، ولم يبق له اعتبار لصورة ولا هيئة، ولا تخيير لجلوس ولا غيره. حتى قبضه الله إليه (...)**»(الفاسي، (د.ت)، ص 300). وقد ارتحل عن فاس لما اضطرب أمرها، فاستوطن تِيطَاوِين، وتولى التدريس والخطابة بها، فإنهال عليه طلبتها يحضرون مجالسه، ويأخذون عنه، فتصدر للعلم بها بلا منازع(حجي، (ج3)، 1996، ص 1070)، وهو ما أكده صاحب المؤلف المذكور، قائلاً: «**(...) الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف ابن مهدي العبد الوادي الاصل، ثم الزياتي: هو أخو شيخنا أبي الطيب، (...)، وكان من أئمة النحاة، حافظا للفقه، قائما عليه، مشاركا في كثير من العلوم. قرأ بفاس، وأوطن تطاون، وخطب ببعض جوامعها، ودرس العلم بها، وكان عالما حقيقة (...)**»(الفاسي، (د.ت)، ص 300).

والجدير بالذكر في مقام الحديث عن هذا العالم أنه كان لديه إخوة علماء أيضًا، انتقلوا جميعًا إلى فاس لطلب العلم عن علمائها، وجعلوا من هذه الحاضرة مركزًا لنهل العلوم وقطف ثماره، حتى من بعضهم البعض، إلى أن حازوا قصب السبق من علماء فاس، على ضوء ما أفرد له شيخهم وصديقهم **"أبو حامد الفاسي"**، بقوله: «**(...) ورحل إلى فاس في طلب العلم شقيقاه أبو العباس أحمد بن يوسف بن مهدي و ابو عبد الله محمد، فقرأ على مشيخة ذلك العصر، فنجبا وفاقا غيرهما من أقرانهما، ودرسا بفاس، ولا سيما أصغرهما أبو عبد الله (...)**»(الفاسي، (د.ت)، ص: 235).

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

ومن مؤلفات **"أبا العباس"**، نذكر في الموالي:

- **"أجوبة مخطوطة"** بالخزانة العامة بالرباط (571 ـ ك).
- **"تأليف في الأنساب"** بالخزانة نفسها (654 ـ ك).
- **"حاشية على رسالة ابن زيد القيرواني"** ـ مبتورة الأول ـ مخطوط الخزانة العامة، ضمن مجموع من ص: 40 ـ 114 رقم (815 ـ ك).
- وله **"كتابات على طرز ابن عات"**.
- **"حواشي على التتائي الصغير"**. ذكرهما ابن أخيه عبد العزيز الزياتي في الجواهر المختارة (179 ـ ب، 2، 133 ـ أ (مخطوطة خاصة)(إبن القاضي، (ج1)، 1971، ص 169).

توفي بتِيطَاوِين عام **1003هـ/1594م**، ودفن بجوار سيدي طلحة غربي المدينة(داود، 1959، ص ص: 315 ـ 317). على ما ذكره **"أبو حامد الفاسي"**، بقوله: «**(...) وأوطن تطاون، وخطب ببعض جوامعها، ودرس العلم بها، وكان عالما حقيقة إلى أن توفي بها سنة ثلاث وألف، ودفن خارج باب العيون منها، قريبا من روضة سيدي طلحة(...)**»(الفاسي، (د.ت)، ص 300).

ـ أبو الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي بن يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي التلمساني (ت 1023هـ/1614م):

العالم المشهور بـ: **"ابن مصري"** على ما أورده أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت 1134هـ / 1722م)، في مخطوطته: **"المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية"**، قائلاً: «**(...) أبي الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي (...) يعرف في بلاده بابن مصري ويعرف في غيرها به (...)**»(الفاسي (ت 1134 هـ / 1722م)، (د.ت)، ص 24).

ولد **"أبا الطيب"** يوم الاثنين عند الفجر في نصف ربيع الأول سنة **964هـ**/ الموافق لمنتصف أبريل **1557م**، ورحل إلى فاس في طلب العلم(الفاسي، (د.ت)، ص 235). انتقل إلى فاس للقراءة على إخوته اللذان سبقاه إليها ـ على ما سيأتي ذكره ـ ولازم شيخهما شيخ المقرئين والنحاة: أبا العباس أحمد بن قاسم القدومي **(ت 992هـ/1584م)**، إلى أن توفي بعد عصر يوم الأربعاء، الخامس عشر من شعبان عام **992هـ/1584م**، ودفن من الغد خارج باب الفتوح من أبواب فاس. وقد أتقن عليه علوم القرآن العزيز، من القراءات وغيرها، وعلوم الفقه خاصة شرح **"الشاطبية"**، ناهيك عن تفننه في علوم العربية؛ نحوًا وتصريفًا وغير ذلك، وحظي منه بعلم غزير حتى صار المشار إليه في تلك العلوم، والمرجوع إليه في تحقيقها، وبيان مشكلها وفتح

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

مقفلها(الفاسي، (د.ت)، ص 235). على ما جاء في **"مرآة المحاسن"**، بالقول: «**(...) كما انفرد بمعرفة معاني الشاطبية معرفة لم يشاركه فيها غيره، وهي من جملة ما حقق على شيخه ابي العباس القدومي(...)**»(الفاسي، (د.ت)، ص 236).

وأخذ أيضًا عن العالم عبد الواحد الحميدي **"مختصر خليل"**، وأجازه هذا الأخير إجازة عامة بخطه، وقد أخذ العلوم إجازة عن غيرهم(القادري، (د.ت)، ص 56)، مثل العالم أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار **(ت1012هـ/1604م)**، الذي أجازه في **"الألفية"** وفي **"علوم الحديث"** و**"تلخيص المفتاح"**، و**"الموطأ"**، و**"الصحيحين"**، وفي ذلك يذكر صاحب **"مرآة المحاسن"** أن أبي الطيب الزياتي التلمساني كان قد حصل الإجازة في مختلف العلوم وأمهات الكتب على يد علماء من المغرب الأقصى، وهم: «**(...) ولازم في قراءة مختصر الشيخ خليل قاضي الجماعة ابا محمد عبد الواحد بن أحمد الحميدي، وقرأ من أوله إلى فصل الصداق على الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار؛ وقرأ عليه ألفية العراقي في علوم الحديث، و"تلخيص المفتاح" إلا بعضه (...) وغير ذلك من الكتب، وسمع عليه "الموطأ" والصحيحين وغير ذلك. وأجازه في جميع ذلك، وفي جميع ما يصح له وعنه روايته، وكتب له بذلك خطه. وقرأ الأصلين والمنطق وغير ذلك على مشايخ ذلك العصر المسمين في غير ذلك(...)**»(الفاسي، (د.ت)، ص 236).

وقد قيد صاحب **"المنح البادية في الأسانيد العالية ..."**، رواية لإجازة يتصل سندها بالتواتر إلى العالم **"أبا الطيب"**، بقوله: «**(...) شيخنا الحافظ الخطيب القاضي ابو المكارم محمد ابن أحمد بن يوسف الفارسي المتولد سنة تسع وألف والمتوفي سنة أربع وتمانين وألف سمعت عليه أو ائل الكتب الستة وتفسير الفاتحة، (...) وأجازني فيما له وهو يروي عن عمه أبي السرور(...)، وعن أبي الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي (...)**»(الفاسي (ت 1134 هـ/ 1722 م)، (د.ت)، ص 24).

ويضيف صاحب **"مرآة المحاسن"** أن **"أبا الطيب"** قد لازم الشيخ أبا المحاسن ملازمة علمية كبيرة(الدازي، 1992، ص 558)، لتتطور تلك الملازمة العلمية حد المصاهرة لما زوج الشيخ المذكور ابنته لعالم تلمسان **"أبا الطيب"**، بقوله: «**(...) وقرأ على الشيخ أبي المحاسن ختمات كثيرة من القرآن العزيز، ولازم مجلسه في أنواع العلوم، وزوجه الشيخ ابنته، وقام بجميع مؤونه، إلى أن توفي الشيخ. رضى الله عنه. (...)**»(الفاسي، (د.ت)، ص ص 236. 237).

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

وذكر سيرته العلمية في المشاركة العلمية والتدريس فضلاً عن التأليف والتحقيق، صاحب **"المطمح"** قائلاً: "**شارك في علوم شتى واشتهر (...)**"(الفاسي، (د.ت)، ص ص 236 ـ 237). وأضاف يقول: "**(...) ودرس في أنواع العلوم، وصف وقيد كثيرا، وكان مشارا إليه بالتحقيق، معترفا به (...)**"(الفاسي، (د.ت)، ص 237). وأورد له عناوين عديدة في علوم الفقه. نوردها في الجدول الموالي:

الجدول رقم 01: جدول لأهم مؤلفات العالم أبي العباس أحمد بن يوسف بن مهدي بن يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي التلمساني (ت 1003هـ/1595م).

الرقم	عنوان المؤلف	مجال التأليف
01	شرح على صلاة القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيش	الفقه
02	حاشية على شرح "الامية" للمكلاتي	الفقه
03	حاشية على شرح "الصغرى"	الفقه
04	حاشية على شرح "الضبط" للتنسي	الفقه
05	حاشية على شرح "الجرومية" لسيدي الشريف	الفقه
06	حاشية على شرح "الألفية" للمكودي (إلا أنها لم تكمل)	الفقه
07	شرح "توضيح" ابن هشام (يتكلم فيه مع الأزهري كتب منه نحو النصف في نحو سفرين)	الفقه
08	وحاشية على مختصر الشيخ خليل مفيدة جدا، تركها في هامش نسخته من المختصر	الفقه
09	أوراق تصدى لتخريجها بعده ولده الأستاذ العلامة أبو فارس عبد العزيز، فكتب منها جملة صالحة في كراريس عديدة، ولم أدر هل أكملها أم لا؟.	الفقه
10	جمع أجوبة شيخه ابي المحاسن	الفقه

المصدر: (الفاسي، (د.ت)، ص ص 236 ـ 237).

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

وشأن ذلك ذُكر كذلك في **"مرآة المحاسن"**، فيما يخص ما قدمه **"أبا الطيب"** في ميدان التدريس والتأليف بحاضرتي فاس وتطاوين، بالقول: «**(...) وقيد كثيرا، وكان مشارا إليه بالتحقيق، معترفا به، ولما انتصب للتدريس كما تقدم؛ لازمناه أيضا في الجماعة، و أقبل على التدريس، و انتفع به خلق كثير(...)**»(الفاسي، (د.ت)، ص 237). «**(...) وله غيرذلك، وجمع وقيد و أفاد رحمه الله ورضي عنه (...)**»(الفاسي، (د.ت)، ص 237). ولقد تدوولت مؤلفاته التي معظمها حواش على كتب تركها في أوراق متناثرة جمعها بعد وفاته ولده عبد العزيز(المعلمة، (ج14)، 2008، ص 4759).

وقد اشتهر العالم الفذ بمؤلفه ذائع الصيت المعروف بـ: «**شرح على الجمل المجرادي**»، الذي توجد منه نسخة في الخزانة العامة بالرباط مصنفة تحت رقم: **1026**. كما توجد نسخة من هذا المخطوط بمكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب الخاصة، بجاية ـ الجزائر، نسخت من قبل الناسخ محمد بن موسى بن شاكر الدراجي السمعوني بمنطقة سمعون بالقبائل ـ الجزائر. جاء في مقدمة المخطوط: (بعد البسملة والتصلية): **"وبعد؛ فيقول عبد الله الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي: إنه لما كانت منظومة الأستاذ أبي عبد الله محمد بن المجرادي من أجلِّ ما نظم في علم الجمل، . أردت أن أضع عليها تقييدا يكمل به الانتفاع"**(مشهد، 2004، ص ص 105.106).

ولما اختلت الأحوال بفاس واضطرب الأمن وتفاقمت الفتن زمن فتنة أبناء المنصور السعدي مع مطلع القرن **11هـ/17م**، خرج بنفسه ودينه منها سنة **1022هـ/1613م**، مهاجرا إلى **"كرت"** من بلاد عوف، وأقام به بأرض له هناك وماشية إلى أن مرض وتوفي يوم الثلاثاء الرابع عشر من رمضان سنة **1023هـ**/ الموافق لـ: **28** أكتوبر **1614م**، ودفن بزاوية **"الهبط"** من الجبل المذكور(ابن عجيبة، 1971، ص 146)، على ما نقتضبه من تفاصيل قام بالتأريخ لها صاحب **"مرآة المحاسن"**، قائلاً: «**(...) ولما اضطرب أمر المغرب ـ المغرب الأقصى ـ واختلفت أحواله، وعظم الخطب بفاس؛ خرج سنة اثنين وعشرين وألف إلى جبل كرت من بلاد عوف، وكان له أصحاب هنالك. وهي بلاد من أخصب بلاد المغرب ـ المعرب الأقصى ـ فأقام هناك منفردا بنفسه، وله سبب من حرث وماشية، إلى أن مرض مدة، وتوفي بين الظهرين من يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وألف، ودفن بالموضع المعروف بزاوية الهبطي من جبل كرت. رحمه الله ورضي عنه(...)**»(الفاسي، (د.ت)، ص 237).

ـ أبو عبد الله محمد بن مهدي بن يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م):

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

هو أخ العالم السابق وأصغر علماء بيت العبد الوادي سنًا، وأكثرهم تمكنًا في العلوم بشهادة معاصريه من العلماء، الذين حلوه بالوقار العلمي والرِّفعة الأدبية، كونه كان مُبرزًا في علوم اللغة العربية التي اختص فيها اختصاصًا دقيقًا حتى بلغ مكانة رفيعة بين نظرائه من العلماء بفاس، ممَّا مكنه ذلك من اقتناص الريادة في مجال التدريس بفضل ما تحلى به من صفات علمية وأساليب في إيصال المعرفة ونقلها للطلبة والشيوخ، أهلته دون غيره من العلماء الذين تنافسوا على حضور حلقات الدروس لهذا العالم المتميز، على ما نستنتجه من كلام **"أبو حامد الفاسي"**، بقوله: "**(...) ورحل إلى فاس في طلب العلم شقيقاه ابو العباس أحمد بن يوسف بن مهدي و ابو عبد الله محمد، فقرأ على مشيخة ذلك العصر، فنجبا وفاقا غيرهما من أقرانهما، ودرسا بفاس، ولا سيما أصغرهما ابو عبد الله. فكان نسيج وحده لا يجارى في العربية ولا يبارى، إلى حسن الإلقاء، وجودة العبارة ونفوذ الفهم. و أقبل الناس على القراءة عليه، وتنافسوا فيها، وطار ذكره كل مطار(...)**"(الفاسي، (د.ت)، ص 235).

. **أبو فارس عبد العزيز بن أبي الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي بن يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي التلمساني (ت 1055هـ/1645م):**

هو ابن العالم **"أبا الطيب"** بن الحسن بن يوسف بن مهدي العبد الوادي، أمه بنت الشيخ أبي المحاسن الفاسي، ولد بفاس ونشأ بها وأخذ عن أبيه وخاله أبي حامد العربي الفاسي **(ت 1052هـ/ 1652م)**، والعارف أبي زيد عبد الرحمن الفاسي وغيرهما من علماء فاس، ثم رحل إلى مراكش فأخذ بها عن أبي عبد الله محمد بن يوسف التملي السوسي المراكشي المتوفى سنة **1048هـ/1640م**، القراءات العشر، وتضلع في أنواع العلوم والمعارف حتى صار إمامًا في الفقه والقراءات والتجويد والنحو(الزِّرِكلي، (ج4)، 2002، ص 161).

ولما التحق أبوه بالهجرة من فاس لنشوب الفتن والاضطرابات بها ـ كما مر معنا ـ، نزل نجله عبد العزيز بتِيطَاوين وأقام بها، وأَمَّ، وخطب، بجامع **"القصبة"**، وأقرأ بها مدة إلى أن توفي بها. وكان لعبد العزيز صيت ببلاد **"الهبط"** و**"غمارة"** و**"شفشاون"** وقد أكد الباحث المغربي **"محمد بوخبزة"** في **"المعلمة"** أنه قد وقع بيده نسخة رسالة للمسمى سليمان نائب المجاهد الثائر الرئيس أبي عبد الله محمد فتحا العياشي الزياتي السلوي **(ت 1051 هـ/1643م)**، يدعو فيها **"عبد العزيز"** باسم رئيسه للدخول في طاعته ودعوة الناس إلى ذلك، وبعده جواب **"عبد العزيز"** يحتوي مدح المجاهد حركته الجهادية ويَعِد بالمطلوب(ابن عجيبة، 1971، ص 146). إذ تحيلنا القراءة الأولية من هذه المراسلة أن كلا من الفقيهين ينتميان إلى قبيلة بني زيات

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

الغمارية. وهو ما يدل على نية التعبئة الدينية والاجتماعية التي كان يهدف من وراءها **"العياشي"** في جهاده ضد الإسبان والبرتغاليين، أم غيرهم من الأمراء الدلائيين....

ولعبد العزيز نشاط مكثف في التأليف نهج فيه على منوال أعمامه وأخواله من العلماء، فقد شرح أرجوزة خاله العربي الفاسي في أحكام الزكاة في الفقه المالكي شرحًا حافلاً، في شرحٍ يُعتبر أحسن شروحها بما جلب فيه من نقول غريبة، وفروع عجيبة، وقد طبع على الحجر بفاس قديمًا في مجلد، وله كذلك جمع مجموعا في النوازل سماه **"النوازل المختارة"** ممَّا وقف عليه الباحث المذكور **"محمد بوخبزة"** من نوازل غمارة في مجلد ضخم حوى كثيرًا من أجوبة خاله وغيره من الفاسيين، حيث توجد به الكثير من الفتاوى لفقهاء تلك النواحي من العلماء المغمورين(حجي، (ج4)، 1996، ص 1421). وممَّا تضمنه ذلك المجموع فتاوى بحكم شرب الدخان والتجارة فيه لأول المغاربة به إلى أحكام المخالطين للبرتغال والإسبان وتسمية بعضهم وما قاموا به من الأعمال(المعلمة، (ج14)، 2008، ص 4760)، وهو ما سود له الخط صاحب **"مرآة المحاسن"** وأحد مؤرخي أعلام هذا البيت، بقوله: "**(...) وبطائق وأوراق تصدى لتخريجها بعده ولده الأستاذ العلامة أبو فارس عبد العزيز، فكتب منها جملة صالحة في كراريس عديدة، ولم أدر هل أكملها أم لا؟. وجمع أجوبة شيخه أبي المحاسن، وله غير ذلك، وجمع وقيد و أفاد رحمه الله ورضي عنه (...)**"(الفاسي، (د.ت)، ص 237).

توفي عبد العزيز بمدينة تِطاوِين في سنة **1055هـ/1645م**، حيث قد تحدث عن ذلك الفقيه العالم أبو العباس أحمد بن محمد الحسني ابن عجيبة **(ت 1224 هـ/ 1808م)**، في **"أزهار البستان"** وهو مؤرخ قريب العهد بهذا العالم التلمساني، بقوله: "**ودفن بالقرب من ضريح الولي الشهير طلحة، وقبره يزار**"(ابن عجيبة، 1971، ص 146).

4.3. انقراضهم من حواضر المغرب الأقصى:

لم تسعفنا المصادر المغربية في الوصول إلى الأسباب الحقيقية والمباشرة التي كانت وراء اختفاء لقب **"الزياتي"** من الساحة الثقافية للحواضر العلمية المغربية منذ سنة **1201هـ/1787م**(المعلمة، (ج14)، 2008، ص 4758). غير أن الأسر العلمية التلمسانية الأصل لم تنقرض بتاتًا من تلك المدن الثقافية ومراكزها العلمية، حيث أفادتنا الكثير من كتب التراجم والفهارس والطبقات بأخبار العديد من الأسر العلمية خاصة منها التي أثبتت نسبها الشريف مثل أسرة **"أبي الفتوح السليماني التلمساني "**.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

4. أسرة أبي الفتوح السليماني التلمساني (قبل سنة 1112هـ/1700م ـ 1304هـ/1896م):

إن الثابت في تاريخ الأسر العلمية هو أنها لا يمكن فهم توجهاتها الدينية ومنطلقاتها الحياتية، إلا باستحضار ترسبات هذه الأسر، بالوقوف على أصولها ومكوناتها الاجتماعية والتطرق لأُسُسِها الدينية ونَبَعَاتِها الثقافية، الصانعة والباعثة لمواقفها المُجتمعية، وحركتها العلمية، وتوجهاتها المستقبلية، وهو أساس ارتكزنا عليه بإسقاط الأبعاد هذه على **"أسرة أبي الفتوح السليماني"**، وفق الشكل ذي الطَرْز المنهجي والمعرفي التالي:

4.1. الأصل والجذور:

يرجع أصل هذه الأسرة العلمية والوُصْلَة التلمسانية إلى الشرفاء السليمانيين من شجرة الحسنيين، الَّذين هم أبناء الفرع الثالث من فروع عبد الله الكامل ابن إدريس الأكبر نزيل تلمسان(الفضيلي، (ج2)، 1999، ص 176)، بقرية **"عين الحوت"** احدى قرى تلمسان. وفي هذا الإطار التاريخي، حَصَّل هذا البيت العلمي إجماعًا في نسبه الشريف مِن قِبلِ مَن أرَّخ له بالخطِّ على أساس المعايشة والمشاهدة لسادته العلماء ونتاجهم العلمي والأدبي. وبطبيعة الحال، اهتم جمهور المؤرخين ذوي خاصية السبق والصفة الرسمية، وحتَّى المحدثين منهم والتابعين بأقلامهم للدولة العلوية، بأن يدرجونهم في مصنفاتهم مع نظرائهم من الشرفاء وأقطابهم، وهذا ما تجسد عند الناصري في **"طلعة المشتري"**، على أنهم: «**(...) أشراف حسنيون من ذرية سليمان بن عبد الله الكامل رضي الله عنهما من أهل عين الحوت بتلمسان**»(الناصري (ت 1315هـ/ 1897م)، (ج2)، (د.ت)، ص 137). لكن وحرصًا منا على التوضيح أكثر فيما يخص نسبهم الشريف النابع من مدينة تلمسان أن نشير أنهم ليسوا الأسرة التطوانية **"الفتوح"** الأندلسية الأصل الذين أرغم أفراد عائلتها على كتابة إسم عائلتهم بالحروف اللاتينية هكذا **" fath"** والتي من أبرز أعلامها محمد بن محمد بن الفتوح الذي تقلد منصب بيت العدول بتِيطَاوِين سنة **1052هـ/1642م**، ومحمد بن عبد السلام الذي كان من أبرز فقهاء تِيطَاوِين لما كان على قيد الحياة سنة **1162هـ/1652م**(المعلمة، (ج19)، 2008، ص 6432).

ونستهل الحديث عن علماء هذا المنشأ العلمي الشريف، مع الزمرة الأولى في شجرتهم العائلية الذي ظهر اسمه في الأزهر الشريف قبل تاريخ **1112هـ/1700م**، مع النصف الثاني من القرن **11هـ/17م**. ولازم مؤسس الزاوية الناصرية وطريقتها الصوفية التي كانت تجمعها ببعض مُريدي تلمسان وعلمائها علاقات صوفية دونتها الكثير من المصادر كان في مقدمتها رسالة وردت على الشيخ محمد ابن ناصر **(ت 1085هـ/1676م)**، يطلب فيها بعض طلبة العلم بتلمسان

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

توضيح كافٍ ووافٍ عن تعاليم هذه الطريقة، قام بنشرها كل من صاحب **"طلعة المشتري"**، وصاحب **"عمدة الراوين في تاريخ تِطَاوِين"**، هذا مقتطف من الذي يهمنا منها: «**(...) وكتب (...) بعض طلبة تلمسان يسألونه الدخول في زمرته والدعاء لهم بتصحيح نياتهم وتسكير قلوبهم (...) فأجاب وعليكم السلام ورحمت الله وبركاته فإني أحمد إليكم الله (...) أما بعد (...) وأوصيكم (...) باتباع السنة ومخالفة البدعة (...) وهذه سيرة أشياخنا (...) وأوصيكم بتقوى الله (...) ولا تخشوا إلا الله (...) وأما السبحة والضيافة والخرقة فليس عندنا بها رواية وانما طريقتنا الذكر وهو نحو ما ذكره الشيخ السنوسي في آخر شرح العقيدة الصغرى ورغبتكم في الدخول في السلسلة بتصحيح التوبة (...) وعليكم بتقوى الله (...)**»(الرهوني، (ج7)، 2003، ص ص 282 ـ 285). وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ذلك التواصل العلمي الأصيل الذي كان حاصلاً بين طلبة العلم من تلمسان ونظرائهم بالسوس المغربية، والذي كان المثال الواضح في هذا التلاقح الفكري والعلمي العالم الموالي من أسرة أبي الفتوح التلمساني الذي ارتحل للزاوية الناصرية بغية الاستفادة العلمية وبطلب من شيخها.

. أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي الفتوح الشريف الحساني التلمساني (ت 1112هـ/1700م):

التلمساني الأصل والمنشأ، الدرعي الدار والملحد، ممَّن حلاهم صاحب **"الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة"**، ورفعهم لنخبة العصر، عندما أشاد به أنَّه كان علامة مقرنًا، حبرًا همَّامًا، من علماء الأزهر المتنورين، وذكر أنَّ مجيئه إلى مدينة درعة بالمغرب الأقصى(الناصري (ت 1170هـ/1756م)، (د.ت)، ص 483)، كان بسبب لقائه بالشيخ محمد ابن ناصر **(ت 1085هـ/1676م)**، في حجّته الأولى سنة **1070هـ/1659م**، بمصر، فأخذ عنه الطريقة الشاذلية، وعاد معه إلى حضرة درعة بالمغرب الأقصى، ونزل عنده بزاوية تامكروت، إلى أن توفاه الله سنة **1112هـ/1700م**، بواحة **"أكتارة"**، وأقام عليه أهل المنطقة قبة كبيرة تذكيرًا بفضله وعلمه الّذي اخترق الآفاق المغربية، ودنى بدلوه من الساحة المشرقية(المعلمة، (ج8)، 2008، ص 2527). حيث أَرَّخ لمأتمه صاحب **"طلعة المشتري في النسب الجعبري"**، قائلاً: «**(...) وأما والدهم سيدي محمد المذكور فإنه توفي (...) درعة سنة اثنتي عشرة ومائة وألف وبني على ضريحه قبة كبيرة(...)**»(الناصري، (ج2)، (د.ت)، ص 14).

ومن زاوية أخرى، فقد ذكر صاحب مخطوطة **"الدرر المرصعة"**، أنه تتلمذ عن علماء الأزهر الشريف، أمثال الشيخ العز سلطان، بقوله: «**(...) أخذ بمصر عن الشيخ العز سلطان واجتمع بالشيخ أبي عبد الله بن ناصر حين طلوعه عند الحج الشريف فأخذ عنه وتلقى**

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

عنه الذكروصحبه (...)"(الناصري (ت 1170هـ/1756م)، (د.ت)، ص 483). وتابع صاحب المؤلف المذكور الحديث عن شيوخ وتلامذة أبا عبد الله محمد ابن أي الفتوح التلمساني قائلاً أن العالم أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي **(ت 1085هـ/1676م)**، أخذ عن الشيخ أبي الفتوح التلمساني، مِمَّا سجله بالقول: "**(...) وعن المشايخ أبي عبد الله محمد بن فتوح التلمساني (...)**"(الناصري (ت 1170هـ/1756م)، (د.ت)، ص 88).

وكان أبي الفتوح الشريف التلمساني من الشعراء الجهابذة في حاضرة السوس المغربية، على ما وقفنا عليه من أبيات شعر فصيح كتبها عن وفاة شيخه العالم أبو العباس أحمد بن ناصر الدرعي **(ت 1085هـ/1676م)**، حيث قال **"الناصري"** نقلاً عن أبي الفتوح:

"**(...) توفيت ليلة يوم الجمعة ليلتنا الزكية المنتفعة**

حبعة (هكذا) زوج شيخنا الامام محمد بن ناصر الهمام

من بعد خلوه من شوال من لفظ يا أخا الكمال

قد عمرت زهاء سبعين سنة في جلالة مرضية مستحسنة (...)"(الناصري (ت 1170هـ/1756م)، (د.ت)، ص 224).

هذا، ولقد قفزت العلاقة العلمية المتينة التي جمعت بين عالم تلمسان ومؤسس الزاوية الناصرية لدرجة المصاهرة، حيث تزوج أبا عبد الله محمد ابن أبي الفتوح السيدة العالمة **"أم كلثوم"** بنت أبي عبد الله محمد الناصري **(ت 1091هـ/1683م)**، التي أنجبت له العالم أبو سليمان داوود بن محمد فتوح التلمساني الدرعي **(ت 1150هـ/1742م)** . الآتية ترجمته . وهو ما أفرد له صاحب **"طلعة المشتري"** جانبًا معتبرًا من مؤلفه، بالقول: "**(...) وكانت أم كلثوم متزوجة بالشريف العلامة الإمام الفاضل سيدي محمد بن يحيى بن أبي الفتوح الحسني السليماني التلمساني (...)**"(الناصري (ت 1315هـ/ 1897م)، (ج2)، (د.ت)، ص 13). ثم يُفصل صاحب المؤلف المذكور في هذه المصاهرة أكثر، ممَّا نلتمسه في كون السيدة **"أم كلثوم"** لم تكن أولى أزواج عالم تلمسان من الناصريين، بل كانت قبلها السيد **"مريم"** أخت مؤسس هذه الزاوية، والتي تعرض فيها للأسباب التي دفعت بالعالم أبي عبد الله محمد الناصري إلى تزويج عالم تلمسان للمرة الثانية إحدى النساء الناصريات، بقوله: "**(...) فزوجه الشيخ سيدي محمد رضي الله عنه أولا أخته قلت أنها السيدة مريم فكانت عقيما فأحس الشيخ رضي الله عنه بأنه يحب الأولاد (...) فزوجه الشيخ رضي الله عنه ابنته أم كلثوم المذكورة (...)**"(الناصري (ت 1315هـ/ 1897م)، (ج2)، (د.ت)، ص 13).

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

تحدث الناصري في **"الدرر المرصعة"** عن السيرة الدِينية والدُنيوية للسيدة **"أم كلثوم"** ممَّا اتصفت به من صبر وتواضع وطاعة للزوج، فضلاً عن كونها من حفظة القرآن الكريم، ومِمَّن لبست ثوب التصوف، وتفقهت في الفقه المالكي، بقوله: «**(...) السيدة أم كلثوم (...) حتى ختمت القرآن مرات وحفظت الوسيلة والمساعدة (...) وقرأت الوغليسية والبردة (...) وكان زوجها يتركها ستة أشهر (...) غائبا عنها (...) ورضيت به (...) كثيرة الصبر والتواضع والصمت (...)**»(الناصري (ت 1170هـ/1756م)، (د.ت)، ص 225).

وعن وفاتها التي كانت في ليلة الجمعة احدى عشر من ربيع الثاني من سنة **1091هـ/** الموافق لـ **1683م**، بسبب وباء الطاعون، يذكر الناصري في **"طلعة المشتري"**، ما نصه: «**(...) وتوفيت أم كلثوم المذكورة بالطاعون ليلة الجمعة احدى عشر من ربيع الثاني من السنة المذكورة ـ 1091هـ ـ (...)**»(الناصري (ت 1315هـ/ 1897م)، (ج2)، (د.ت)، ص 14).

ـ مولاي مسعود الشريف السليماني التلمساني (من علماء القرن 12هـ/18م):

هو أخ العالم أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي الفتوح الشريف الحساني التلمساني **(ت 1112هـ/1700م)**، حيث أكد ذلك الناصري في **"طلعة المشتري"** وقال: «**(...) سيدي محمد بن يحيى بن أبي الفتوح التلمساني شقيق مولاي مسعود المذكور (...)**»(الناصري (ت 1315هـ/ 1897م)، (ج2)، (د.ت)، ص 136). ويبدو أن علماء هذا البيت العلمي قد صاهروا كثيرًا علماء الزاوية الناصرية، وتزوجوا بنات علمائها الناصريين، حيث أطال صاحب المؤلف المذكور النفس في تسجيل كل كبيرة وصغيرة تخص أعلام هذه الأسرة، ولم يغفل زواج العالم مسعود التلمساني بالسيدة ميمونة الناصرية، فقال: «**(...) والسيدة ميمونة زوج مولاي مسعود الشريف السليماني التلمساني ولد منها ولده مولاي بناصر (...)**»(الناصري (ت 1315هـ/ 1897م)، (ج2)، (د.ت)، ص 135).

ـ مولاي بن ناصر بن مولاي مسعود الشريف السليماني التلمساني (من علماء أواخر القرن 12هـ/18م):

هو ابن العالم مولاي مسعود الشريف التلمساني المتقدم الذكر، والذي تزوج من السيدة العالمة الناصرية **"أم متاني"** التي عمتها السيدة **"ميمونة"** زوج مولاي مسعود الشريف التلمساني. وردت إشارات عابرة فيما يتعلق بترجمته عند صاحب **"طلعة المشتري"** الذي قال عنه في شأن زواجه بالسيدة المذكورة: «**(...) منهم السيدة أم متاني (...) وهي زوج مولاي بناصر بن مسعود المتقدم الذكر (...)**»(الناصري (ت 1315هـ/ 1897م)، (ج2)، (د.ت)، ص 137).

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

. أبو سليمان داوود بن محمد فتوح التلمساني الدرعي (ت 1150هـ/1742م):

لقد نال هذا العالم نصيبًا وافرًا من الترجمة عند مؤرخ الزاوية الناصرية أبو عبد الله محمد المكي بن موسى الناصري **(ت 1170هـ/1756م)**، حيث قال في تصوفه ومسلكه في الطريقة الناصرية: "**(...) داوود بن محمد فتوح التلمساني الدرعي أبو سليمان الرجل الصالح ومريدي الشيخ أبي عبد الله بن ناصر رضي الله عنه (...)**"(الناصري (ت 1170هـ/1756م)، (د.ت)، ص 225). ويضيف قائلاً عن صلاحه وتقواه بالله عز وجل: "**(...) وبقي داوود (...) وكان مواظبا على الصلاة والصلاح(...)**"(الناصري (ت 1170هـ/1756م)، (د.ت)، ص 225).

أما عن تاريخ وفاته التي كانت في شهر محرم من سنة **1150هـ**/ الموافق لـ **1742م**، فقد أضاف يقول صاحب "**الدرر المرصعة**": "**(...) وتوفي في المحرم سنة خمسين ومائة وألف بزاوية الشيخ أبي العباس بن ناصر (...)**"(الناصري (ت 1170هـ/1756م)، (د.ت)، ص 226). وهو ما أكده صاحب "**طلعة المشتري**" أيضًا الذي نقل على ما يبدو من المؤلف السابق الذكر: "**(...) توفي في المحرم سنة خمسين ومائة وألف بزاوية خاله الشيخ أحمد الخليفة (...) بزاوية الهناء وقبره هناك معروف رحمه الله ورحم سلفه(...)**"(الناصري (ت 1315هـ/ 1897م)، (ج2)، (د.ت)، ص 14).

ولقد توارث علماء هذا البيت العلمي العلم عن آبائهم وأجدادهم العلم والتصوف والصلاح معًا، وتتلمذوا في الزاوية الناصرية، حيث نجد أسمائهم وألقابهم تتكرر طيلة القرن **13هـ/19م**، والذي يليه، حيث نجد العالم أبي عبد الله سيدي محمد بن التهامي بن أبي الفتوح الحسني السليماني **(كان حيا سنة 1304هـ/1896م)**، والذي غسل العالم أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الناصر سنة **1304هـ/1896م**(الناصري (ت 1315هـ/ 1897م)، (ج2)، (د.ت)، ص 134).

5. مناقشة أهم النتائج:

. إن ما يمكن الخلوص إليه هو أن التواصل الثقافي عند الأسر العلمية التلمسانية بحواضر المغرب الأقصى خلال القرنين **11هـ/17م**، و**12هـ/18م**، قد تم إلى حد ما كشف غُبَار الزمن عليه عند كل من "**أسرة العبد الوادي**" و"**أسرة أبي الفتوح**" كأنموذجين، تم اختيارهما في هذا البحث لعدة أسباب، منها ما هو مرتبط بالجذور التاريخية عنما أثبتت لنا كتب الأنساب الأصول الملكية لهاتين الأسرتين، وبينت شأنها العلمي التي استمدته من ماضيها العلمي الحافل في تلمسان، ومن هنا جعلت هذه الأسر ورموزها العلماء الأفذاذ التراث الثقافي الزياني منطلقًا لحاضرها المزدهر، بل وعملت على تطوير كفاءتها العلمية بحواضر المغرب الأقصى تطويرًا منقطع النظير .

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

ـ يتبين من هذا البحث أهمية مسألة الهجرة العلمية الاضطرارية عند الأسر التلمسانية زمن العثمانيين وما تجلى فيها من مظاهر الحركية العلمية التي لم تستفد منها تلمسان بقدر استفادة المغرب الأقصى، جملةً وتفصيلاً، من جهابذة تلمسان، ومهاراتهم، وحذقهم، وسعة ثقافتهم، التي كشفوا بها العديد من القضايا الفقهية التي تضمنتها صَفوَة أبحاثهم المبثوثة في ثنايا المضان المصدرية التي أرَّخت للمجهودات العلمية الخاصة بـ **"أسرة العبد الوادي"** و**"أسرة أبي الفتوح"**.

ـ وبعد كل هذا، فإن النشاط العلمي المرموق الذي اختصت به الأسرتان بحاضرتي تِيطَاوِين والسوس المغربيتين لم يولد من عدم، وإنما كانت له جذور ملكية تلمسانية شريفة، ومقومات دينية وعلمية، ومصادر ثقافية اتكأ عليها علماء هاتين الأسرتين التي بنت معالمها الثقافية من جديد خلال الفترة الحديثة في مواطن هجرتها بشكل متين، وأرست مبادئها العلمية على أسس قوامها الإفادة من التراث التلمساني ومزجه بالتراث التيطواني والسوسي عبر تفعيل أواصر التلاقح الثقافي، الذي كانت وراءه عوامل طبيعية متمثلة في الجغرافية المشتركة والموحدة في الكثير من التضاريس، وعوامل تاريخية معالمها واضحة مع التجربة المرابطية والموحدية، وعوامل دينية وثقافية تستمد أصولها من الدين الإسلامي والمذهب المالكي الذي كان سائدًا في المغرب العربي، مِمَّا لا يدع مجالا للشك في ذلك الانصهار الاجتماعي الذي ساعد على التكتل، وتشكيل بوثقة حضارية تشترك في العديد من الخصائص والمميزات الثقافية والعلمية بين تلمسان وحواضر المغرب الأقصى .

ـ استوقفتنا زوايا البحث على صدى علمي طائرة الآفاق وصل إليه علماء **"أسرة العبد الوادي"** و**"أسرة أبي الفتوح"**، واللتان كانتا في طليعة الأسر العلمية بالمغرب الأقصى، حتى كادت تحوز قصب السبق ـ أو ربما فعلت ـ في مضمار التدريس، والتصنيف، والتأليف، وشرح الأراجيز الأدبية، وتذييل الكراريس الفقهية...، فأكسبها كل ذلك مكانة دِينية ودُنيوية عند الخاص والعام بالمملكة المغربية، سواء زمن السعديين أم في العهد العلوي .

ـ وبعد ما سبق توثيقه من نصوص تاريخية وشواهد لعلماء عايشوا الحركة العلمية والنتاج الفكري لأسرتي **"العبد الوادي"** و**"أبي الفتوح"** يمكن القول إن البصمة الثقافية للأسرتين في تاريخ الحضارة المغربية لا غبار عليها، ولا يمكن اخفاؤها، مع وُجوب التأكيد على أن المغرب الأقصى قد غرف كثيرًا من حضارة إيالة الجزائر في العهد العثماني.

*****

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

*** . قائمة المصادروالمراجع:**

. برسيقي (أحمد محمد). (1951)،. **الأسرة**، كلية الآداب، جامعة فارق، القاهرة.

. حجي محمد، (1996)، **موسوعة أعلام المغرب**، (ج3)، دار الغرب الإسلامي، بيروت/لبنان.

. إبن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن ت 808 هـ/ 1406م). (2000). **تاريخ إبن خلدون المسمى كتاب العبروديوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، (ج7)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، لبنان.

. داود (محمد). (1959). **تاريخ تطوان**، منشورات معهد مولاي الحسن، تطوان.

. الدازي (حفيظة). (1992). **ابتهاج القلوب بخبرالشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب لعبد الرحمن بن عبد القادرالفاسي: دراسة وتحقيق**، أطروحة مقدمة لنيل درجة الماجستير، منشورة.

ـ الرهوني (أبو العباس أحمد ت 1373هـ/ 1953م). (2003). **عمدة الراوين في تاريخ تطاوين**، (ج1)، تحقيق: جعفر بن الحاج السلمي، مطبعة الخليج العربي، تطوان.

ـ الزِّرِكلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس ت 1396هـ/1976م). (2002). **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربة والمستشرقين**، (10 أجزاء)، دار الملايين للنشر والتوزيع، بيروت.

ـ الزياني (أبو القاسم ت 1241هـ/ 1836م). (2008). **تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب**، تقديم وتحقيق: رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، الرباط.

ـ ابن عجيبة (أبو العباس أحمد بن محمد الحسني ت 1224 هـ/ 1808م). (1971). **أزهار البستان في طبقات الأعيان**، تقديم: الخالدي عبد السلام العمراني، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان.

ـ الفاسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر ت 1134 هـ / 1722 م). (د.ت). **مخطوط: المنح البادية في الأسانيد العالية والمسلسلات الزاهية والطرق الهادية الكافية**، مكتبة الأزهرية، يحمل رقم: 53083.

ـ الفاسي (أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفهري ت 1052هـ/ 1652م). (د.ت). **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، ونبذة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية بالمغرب**، دراسة وتحقيق: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، دار ابن حزم.

ـ الفضيلي (أبو الفضل عبد الله مولاي إدريس ت 1316هـ/1896م). (1999). **الدرر البهية والجواهر النبوية**، مراجعة ومقابلة: العلوي أحمد بن المهدي والعلوي مصطفى بن أحمد، (ج2)، مطبعة فضالة، المحمدية (المغرب).

ـ (قاموس). (2008). **معلمة المغرب، قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والجغرافية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى**، (ج14)، مطبعة النجاح الجديدة، سلا.

ـ إبن القاضي (أبو العباس أحمد ت 1056هـ/ 1651م). (1971). **ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق: أبو النور محمد الأحمدي، (ج1)، مكتبة دار التراث، القاهرة.

ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X Prefix: 10.46315

. القادري (أبو عبد الله محمد بن الطيب الجيلاني ت 1187هـ/ 1773م). (د.ت). **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج**، دراسة وتحقيق: دادي مارية، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المغرب.

. مشهد (جمال الدين). (2004). **فهرسة المخطوطات الاسلامية بمكتبة الشيخ الموهوب أولحبيب الخاصة، بجاية. الجزائر**، تحرير: سيد أيمن فؤاد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.

. المقري (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني ت1041هـ/ 1631م). (1998). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**، (ج5)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر العربي، بيروت.

. الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي ت 1315هـ/ 1897م). (د.ت). **طلعة المشتري في النسب الجعبري**، (ج2)، طبعة حجرية بالمؤسسة الناصرية للثقافة والعلم، سلا.

. الناصري (أبو عبد الله محمد المكي بن موسى ت 1170هـ/1756م). (د.ت). **مخطوط: الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة**، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، (غير مصنَّف).

. وافي (على عبد الواحد). (1947). **الأسرة والمجتمع**، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.